لدمشق حكاية خاصة في قلبه

وفيق الزعيم.. بدأ نجماً وعانى التهميش... و«باب الحارة» أعاد اكتشافه

وائل العدس

قبل ستة أعوام، وبعد معاناة طويلة مع المرض، غيّب الموت الفنان القدير وفيق الزعيم فترجل باكراً متأثراً بسرطان الكبد الذي أنهكه وغيّبه عن الأضواء، حيث لم يكمل بعد عامه الرابع والخمسين.

وابتعد الراحل عن الشخصية الأشهر التي أداها خلال مسيرته الفنية بشكل قسري، وهي شخصية «أبو حاتم» في مسلسل «باب الحارة» بأجزائه الخمسة، بعد انتشار المرض في جسده ما دفعه للاعتذار عن العمل في جزأيه السادس والسابع، علماً أنه قال إنها من أهم الأدوار التي قام بها في حياته المهنية.

وبدا المرض واضحاً على وجهه الشاحب، لكنه كابر على نفسه واستطاع إكمال شخصيته في الجزء الثاني من «طاحون الشر» عام ٢٠١٢.

ولد الزعيم عام ١٩٦٠ في مدينة دمشق، وشارك في العديد من الأعمال المسرحية والسينمائية ولعب أدواراً مهمة في المسلسلات التلفزيونية، رغم تخرجه في معهد الفنون التشكيلية.

تحصل على الكثير من الجوائز منها جائزة الإبداع الذهبية في مهرجان القاهرة، وجائزة الإبداع الفضية كأفضل عمل اجتماعي في مهرجان القاهرة وجائزة الدولة التقديرية في مهرجان القاهرة.

أدوار متنوعة

امتلك الزعيم حضوراً مميزاً في الحياة وفي التمثيل فقدم عبر سنوات طويلة أدواراً درامية متنوعة وغنية، واستطاع من خلالها أن يحجز حيزاً في ذاكرة الناس ومكاناً خاصاً به في الدراما السورية بعفويته وصدقه وموهبته العالية إلى جانب حضوره اللافت في الإذاعة والمسرح والسينما.

وعانى «أبو براء» تهميش موهبته لسنوات من المخرجين التلفزيونيين وخاصة في الفترة ما بعد منتصف التسعينيات مع بداية تطور الدراما السورية حتى أعاد المخرج بسام الملا اكتشافه من جديد في مسلسل «باب الحارة».

ويقر كل من عرف الفنان صاحب شخصية «أبو حاتم» عن قرب بأنه إنسان يفيض بالحب للوطن وللناس ولكل شيء جميل في الحياة وهذا أول ما يمكن للشخص ملاحظته في الراحل الكبير من خلال ابتسامته الوقورة وكلماته الجميلة التي تعبر عن رقيّه الإنساني وثقافته الغزيرة في الفن وفي مختلف مناحي الحياة.

لم يعرف الراحل الاستسلام يوماً، كما أنه لم يركن للضعف والكسل، فواظب على العمل في كل المجالات التي كانت متاحة أمامه رغم مقاطعة أغلب المخرجين له لفترة طويلة وعدم تقديم الأدوار الأولى له بما يتوافق مع موهبته التمثيلية المميزة، فمثل في الإذاعة والمسرح وتعلم الماكياج وتصفيف الشعر والديكور إضافة لمعرفته بالموسيقا والرسم، ما شكل نموذجاً للفنان المناضل وخصوصاً في السنوات الأخيرة التي عاشها بمزيج من العمل المجد والغزير ونشوة النجاح مع معاناة ألم المرض حتى الرحيل.

حكاية خاصة

أما دمشق فلها حكاية خاصة في قلب الزعيم، فقد كان يعترف أنه متطرف لها بالمعنى الإيجابي على أنها عشقه وهيامه، وكان يتمنى أن يمده الله بالعمر ليفيها بعضاً من حقوقها عليه، لكن الموت كان أسرع.

على الخشبة

شارك الزعيم في العديد من المسرحيات أهمها: «المفتش العام»، و«رؤى سيمون ماشار»، و«الاستثناء والقاعدة»، و«حكاية زهرة الحفارة»، و«مصرع عامل»، و«ماريانا بينيدا».

ولم تكن خشبة المسرح غائبة يوماً عن ذهنه، لكنه كان اعترف في حوار له مع «سانا» أنها تعاني أزمة على الرغم من وجود بعض الأعمال الجيدة، لكنها أعمال فردية قائمة على جهود شخصية، مبيناً أن نهضة المسرح تقترن بالاهتمام بالأنشطة المسرحية في مختلف الفعاليات الاجتماعية من مدارس وجامعات ومنظمات شعبية ومسارح هواة وغيرها من الجهات المختلفة وهذا وحده كفيل بتحقيق نشاط مسرحي فاعل.

الشاشة الصغيرة

في التلفزيون كانت لوفيق الزعيم المشاركات الأهم التي استطاع من خلالها التميز والدخول في عقل وقلب المشاهد العربي، عبر أدائه التمثيلي المقنع واختياره لأعمال هادفة تحمل مضموناً ورسالة سامية إلى المجتمع العربي، وكذلك من خلال تجسيد أدوار تعكس الواقع السوري والعربي على حد سواء.

بدأ التمثيل في أوائل الثمانينات واشتهر من خلال مسلسلات مثل «حارة نسيها الزمن» عام ١٩٨٨ وهو من تأليف هاني السعدي وإخراج سالم الكردي، حيث اشتهر آنذاك بالعبارة التي كان يرددها في هذا المسلسل «كريستال وأصلي».

لكنه قبل رحيله بسنوات، أكد في لقاءاته الصحفية أن «باب الحارة» هو المسلسل الذي أعاد اكتشافه، لكنه في الوقت نفسه لا يعتبره العمل الأفضل في الدراما السورية وليس هو النموذج الجيد عن البيئة الشامية إلا أنه يتميز بالتوليفة الجميلة التي يشتمل عليها.

وأرجع تألقه في المسلسل الشامي إلى نشأته في حارة «باب سريجة»؛ التي تعتبر رمزاً لتاريخ الحارة الدمشقية، وقال: إنه أخرج الكلمات التي تعلمها وتلقاها من خلال نشأته في حارة دمشقية في شخصية «أبو حاتم»، لذا كانت تلك الكلمات بمنزلة عامل النجاح الأساس الذي ساعد على تألقه.

كما كانت لوفيق الزعيم أعمال إذاعية منها «شخصيات روائية»، و«حكم العدالة»، و«ظواهر مدهشة»، ، أما في السينما فقد اشتهر بعملين هما: «الطحالب» عام ١٩٩١ و«سحاب» عام ١٩٩٢.

شارك في العديد من المسرحيات أهمها «المفتش العام» و«رؤى سيمون ماشار» و«الاستثناء والقاعدة» و«حكاية زهرة الحفارة» و«مصرع عامل» و«ماريانا بينيدا».

أما على مستوى التلفزيون فكانت له مشاركات مهمة استطاع من خلالها أن يتميز وأن يدخل في عقل وقلب المشاهد من خلال أدائه التمثيلي المقنع واختياره لأعمال هادفة تحمل مضموناً ورسالة سامية.

من أعماله التمثيلية نذكر «انتقام الزباء» ١٩٧٤ و«حارة نسيها الزمن» ١٩٨٨ و«الهنوف» ١٩٩١ و«الربيع المسافر» ١٩٩٤ و«مزاد علني» ١٩٩٩ و«حارة الجوري» و«حمام القيشاني» ٢٠٠١ و«حد الهاوية» و«آباء وأمهات» ٢٠٠٢ و«الياسمين والإسمنت» و«الداية» ٢٠٠٣ و«باب الحارة» ٢٠٠٦ و«كوم الحجر» و«خالد بن الوليد» و«الحصرم الشامي» ٢٠٠٧ و«الحوت» و«بهلول أعقل المجانين» ٢٠٠٨ و«الزعيم» ٢٠١١ و«طاحون الشر» ٢٠١٢ و«حمام شامي» ٢٠١٤.

كما عمل في التأليف، ومن مؤلفاته للتلفزيون «الآباء والحصرم» و«حكاية من حارتنا» و«إخلاص» و«مزاد علني» و«حارة الجوري» و«المتفائل» و«البحث عن السعادة» و«الياسمين والإسمنت» و«الأمانة»، كما لديه في الإذاعة أكثر من مئة عمل.

مشروعه الشخصي

اقتحم الزعيم مجال التأليف الدرامي، فكتب «الآباء والحصرم»، و«حكاية من حارتنا»، و«مزاد»، و«حارة الجوري»، و«يوميات مواطن»، و«ظلال ورمال»، على حين كان يعتبر أن مسلسل «الزعيم» مشروعه منذ سنوات طويلة وهو عمل يتعلق به شخصياً وبعلاقته بالشام.

في هذه الناحية يقول: «ليس طموحي أن أكون كاتباً، إلا أنني أحب أن أعبر ما يجول في خاطري، وما أحب أن أوضحه لبعض الناس ونقل العلاقات الاجتماعية في البيئة الشامية بصورتها الحقيقية».

الأمثال الشعبية

قام الزعيم بجمع معظم الأمثال الشعبية الشامية في كتاب صغير يحمل عنوان «المشاعل»، وقال: «ليس هدفي من هذا الكتاب هو الربح المادي أو هدفي بأن أطلق على نفسي شاعراً وإنما هدفي أن أغني المهتم بالأمثال الشعبية بكتاب صغير يستفيد منه».

وأوضح أن فكرة تدوين كتاب يحتوي على الأمثال الشعبية الشامية والزغاريد راودته بعد اكتشافه ضعف الإنتاج السوري الخاص بالأمثال الشامية، فقرر أن يؤلف كتاباً يضم عديداً من الأمثال الشامية.

الابن الممثل

ابنه هو الممثل الشاب براء الزعيم الذي أدى دور «الطبيب حمزة» في «باب الحارة» وقال عنه: أصبح محترفاً وله العديد من الأعمال، لديه كاريزما ومن الممكن أن يصبح نجماً في التمثيل في القريب العاجل، وأنصحه بأن يبتعد عن الغرور، فالفن يعلم الناس الأخلاق، أطلب منه أن يجتهد، وأن يتعامل مع الفن كرسالة يجب إيصالها للناس بطريقة جيدة.

ترك الأمثال الشعبية الشامية في كتاب سماه «المشاعل»

هل يُحيي العلم الذائقة الفنية لدى الجيل الجديد؟

أم كلثوم كوكب الشرق تعود للمسرح في ثالث حفلاتها عبر تقنية الهولوغرام

سوسن صيداوي

هل تتخيل نفسك وبعد مرور نصف قرن تقريباً، أن تقطع تذاكر لتحضر حفل غناء لكوكب الشرق الست أم كلثوم، وربما بعد فترة ستليها حفلات أخرى وستدفع أنت أيضاً لتقطع تذاكر مثلاً لمحمد عبد الوهاب أو فايزة أحمد أو عبد الحليم حافظ، ولكل عمالقة الزمن الجميل؟ واليوم نطرح السؤال: ألهذه الدرجة أصبح العلم متفوقاً على الطبيعة ويسبقها بقواعد علمية يعجز –في بادئ الأمر– الفكر عن استيعابها إلى أن تتحول وتصبح عادة متواترة بعد حين، ومن ثم ليصبح اللامعقول مألوفاً. الجواب بالحديث عما يدور في مهرجان الأوساط العربية، وعلى الخصوص في هذه الفترة، حيث تستعد كوكب الشرق أم كلثوم لإحياء حفلها الرابع بتقنية الهولوغرام بمرافقة أوركسترا حية، في الأردن يومي السابع والعشرين والثامن والعشرين من آذار الحالي، بأسعار بطاقات أثارت الاستياء لكونها باهظة وتتراوح بين ٥٦ و٢١١ دولاراً أميركياً، بعد أن استُحضرت أم كلثوم بالتقنية العام الماضي في دار الأوبرا المصرية، وفي مسرح دبي أوبرا في الإمارات العربية المتحدة. وللمزيد حول هذه التقنية نورد لكم.

الهولوغرام... آلة العودة بالزمن إلى الوراء

الهولوغرام (HOL-o-gram)هي صورة ثلاثية الأبعاد، تم إنشاؤها باستخدام إسقاط فوتوغرافي، وهي عبارة عن عرض مرئي يقوم بإعادة إنشاء الصورة وعرضها بصوره ثلاثية الأبعاد، وذلك بطريقة عالية الجودة، لتطفو الصورة في الهواء كمجسم هلامي ثلاثي الأبعاد يظهر كطيف من الألوان المتجسدة على الشكل المراد عرضه، وتمّ أخذ المصطلح من الكلمات اليونانية holos (كاملة) وgramma (رسالة).

اكتُشفت هذه التقنية عام ١٩٤٧ على يد العالم دينيس غابور، الذي كان يعمل على تحسين قوة تكبير الميكروسكوب الإلكتروني، وبسبب موارد الضوء المتاحة في ذلك الوقت، والتي لم تكن متماسكة، أي أحادية اللون، تم تأخير ظهور التصوير التجسيمي إلى عام ١٩٦٠ وقت ظهور الليزر.

وفي عام ١٩٦٧، استطاع كل من العالم «جيوريس اوباتنيكس» والعالم «ايميت ليث»، من جامعة ميشيغان، عرض أول هولوغرام بعد العديد من التجارب، ليتمكن لويد كروز عام ١٩٧٢ من صناعة أول هولوغرام يجمع بين الصور المجسمة ثلاثية الأبعاد، والسينما ذات البعدين.

مميزات لاستخدامات

تحت هذا العنوان لابد أن نشير إلى مميزات هذه الخاصية الجديدة على مشرقنا العربي والقديمة بالنسبة لدول التكنولوجيا والأبحاث. فأول خواص أو مميزات تقنية الهولوغرام أنها على عكس التلفزيون الثلاثي الأبعاد أو الواقع الافتراضي، يمكن رؤية العرض الهولوغرامي بصورة ثلاثية الأبعاد من الجميع ومن دون ارتداء نظارات ثلاثية الأبعاد. يمكن استخدام هذه التقنية في الترويج للمعارض التجارية، الاجتماعات، الأحداث، المتاحف، وفي عروض المنتجات، إضافة إلى الأفلام الخيالية والأفلام العلمية. هذا وبحسب الخبراء والعلماء فإنه يمكن استخدام هذه التقنية في تعزيز الحماية الأمنية للقضاء على عمليات النصب والتزوير، لكونه من المستحيل خلالها القيام بعملية النسخ، لا عن طريق آلات التصوير ولا حتى عن طريق الماسح الضوئي المعروف بـ«سكانر»، وأيضاً في مجال بطاقات الائتمان يمكن استخدامها بوضع شريط مجسم على ظهر البطاقة، وحتى في مجالات أخرى يمكن الاستفادة من هذه التقنية أيضاً في قطاع الرعاية الصحية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنه لتحقيق عرض الهولوغرام نحتاج إلى ثلاثة أشياء، جهاز الليزر الذي ينتج الضوء الأحمر، ونحتاج أيضاً إلى العدسات الخاصة التي مهمتها تشتيت الضوء وتفريقه على مساحة من الجسم المراد تصويره. ويتطلب تنفيذ هذه التقنية أيضاً، إلى مجزئ الضوء وهو عبارة عن مرآة تعمل على تمرير جزء من الضوء وعكس الجزء المتبقي. وأخيراً نحتاج إلى المرايا التي تستخدم في توجيه أشعة الليزر عبر العدسات ومجزئ الضوء إلى الموضع المحدد.

ضرورة وتنبؤ

العلم يجب أن يسّخر لخدمة الإنسان وتوسيع آفاقه ومداركه وقدراته بالشكل الأفضل، وتماشياً مع هذا الأمر لابد أن يكون العلم بكل مجالاته ضرورة ملحة، لهذا يتطلع العلماء إلى أن تكون تقنية الهولوغرام تقنية أساسية تعتمد عليها جميع المجالات في سبيل بناء حياة أفضل، وتحمل طابع الرفاهية والراحة للبشرية. وعن إقامة حفلات عبر تقنية الهولوغرام بالذات، يتابع العلماء والخبراء، أنه عبر استخدام الأساليب الحديثة والمتطورة سيكون سهلاً جذب الناشئة من الجيل الشاب الذي يهوى التكنولوجيا ويلهث خلف العصرنة ومواكبة كل جديد، وبإمكان العلم أن يحقق المعادلة ويكوّن بأدواته حلقة الوصل بين مواجهة السرعة والإهمال للموروث الثقافي والفكري، عبر توجيه أنظار الأجيال الجديدة إلى الفنون والعلوم وفق خاصية الهولوغرام، وخصوصاً أن الاختيار في التنفيذ في شرقنا العربي جاء بإقامة حفل للسيدة أم كلثوم لكونها سيدة الغناء العربي، وأحد أهم أيقونات الطرب في العالم العربي.

وبعد إطلاق أول حفل لكوكب الشرق، أشار النشطاء في موقع تويتر إلى أن مسلسل الكرتون الشهير «عدنان ولينا»، والذي تم إنتاجه في سبعينيات القرن الماضي، تطرق إلى تقنية الهولوغرام وقدرة البشر على استخدامها والتواصل من خلالها. في المشهد الذي يأخذ الجد «رامي» حفيدته «لينا» بصحبة صديقيها «عدنان» و«عبسي» إلى إحدى قاعات البرج الفارغة، ليبهرهم بتشغيل تقنية الهولوغرام، التي ترسم مجسمات ثلاثية الأبعاد لحديقة عشبها أخضر، وفيها أطفال وحيوانات، وتتعاقب عليها فصول السنة، ليخبرهم بالنهاية بأن تقنيات العلم مهما تطورت، فستبقى عاجزة عن توفير بديل للحياة تحت ضوء الشمس.